تفسير إبن كثير

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا

قال العوفي عن ابن عباس : نزلت سورة النساء بالمدينة . وكذا روى ابن مردويه عن عبد االله بن الزبير ، وزيد بن ثابت ، وروى من طريق عبد االله بن لهيعة ، عن أخيه عيسى ، عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما نزلت سورة النساء قال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " لا حبس " .وقال الحاكم في مستدركه : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، حدثنا أبو البختري عبد االله بن محمد بن شاكر ، حدثنا محمد بن بشر العبدي ، حدثنا مسعر بن كدام ، عن معن بن عبد الرحمن بن عبد االله بن مسعود عن أبيه ، عن عبد االله بن مسعود ، رضي االله عنه ، قال : إن في سورة النساء لخمس آيات ما يسرني أن لي بها الدنيا وما فيها : (إن االله لا يظلم مثقال ذرة) الآية ، و (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه) الآية ، و (إن االله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) و (ولو أنهم

إذ ظلموا أنفسهم جاءوك) الآية ، و (ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر االله يجد االله غفورا رحيما) ثم قال : هذا إسناد صحيح إن كان عبد الرحمن سمع من أبيه ، فقد اختلف في ذلك .وقال عبد الرزاق : أخبرنا معمر ، عن رجل ، عن ابن مسعود قال في خمس آيات من النساء : لهن أحب إلي من الدنيا جميعا : (إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم) وقوله : (وإن تك حسنة يضاعفها) وقوله : (إن االله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) وقوله : (ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر االله يجد االله غفورا رحيما) وقوله : (والذين آمنوا باالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان االله غفورا رحيما) رواه ابن جرير : ثم روى من طريق صالح المري ، عن قتادة ، عن ابن عباس قال : ثمان آيات نزلت في سورة النساء هي خير لهذه الأمة مما طلعت عليه الشمس وغربت ، أولاهن : (يريد االله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم واالله عليم حكيم) والثانية : (واالله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما) والثالثة : (يريد االله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا) .ثم ذكر قول ابن مسعود سواء ، يعني في الخمسة .

الباقية .وروى الحاكم من طريق أبي نعيم ، عن سفيان بن عيينة ، عن عبيد االله بن أبي يزيد ، عن ابن أبي مليكة ; سمعت ابن عباس يقول : سلوني عن سورة النساء ، فإني قرأت القرآن وأنا صغير . ثم قال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ولم يخرجاه .بسم االله الرحمن الرحيم(ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا االله الذي تساءلون به والأرحام إن االله كان عليكم رقيبا (1))يقول تعالى آمرا خلقه بتقواه ، وهي عبادته وحده لا شريك له ، ومنبها لهم على قدرته التي خلقهم بها من نفس واحدة ، وهي آدم ، عليه السلام (وخلق منها زوجها) وهي حواء ، عليها السلام ، خلقت من ضلعه الأيسر من خلفه وهو نائم ، فاستيقظ فرآها فأعجبته ، فأنس إليها وأنست إليه .وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن مقاتل ، حدثنا وكيع ، عن أبي هلال ، عن قتادة ، عن ابن عباس قال : خلقت المرأة من الرجل ، فجعل نهمتها في الرجل ، وخلق الرجل من الأرض ، فجعل نهمته في الأرض ، فاحبسوا نساءكم .وفي الحديث الصحيح : " إن المرأة خلقت من ضلع ، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه ، فإن ذهبت تقيمه كسرته ، وإن استمتعت بها

استمتعت بها وفيها عوج " .وقوله : (وبث منهما رجالا كثيرا ونساء) أي : وذرأ منهما ، أي : من آدم وحواء رجالا كثيرا ونساء ، ونشرهم في أقطار العالم على اختلاف أصنافهم وصفاتهم وألوانهم ولغاتهم ، ثم إليه بعد ذلك المعاد والمحشر .ثم قال تعالى : (واتقوا االله الذي تساءلون به والأرحام) أي : واتقوا االله بطاعتكم إياه ، قال إبراهيم ومجاهد والحسن : (الذي تساءلون به) أي : كما يقال : أسألك باالله وبالرحم . وقال الضحاك : واتقوا االله الذي به تعاقدون وتعاهدون ، واتقوا الأرحام أن تقطعوها ، ولكن بروها وصلوها ، قاله ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، والحسن ، والضحاك ، والربيع وغير واحد .وقرأ بعضهم : (والأرحام) بالخفض على العطف على الضمير في به ، أي : تساءلون باالله وبالأرحام ، كما قال مجاهد وغيره .وقوله : (إن االله كان عليكم رقيبا) أي : هو مراقب لجميع أعمالكم وأحوالكم كما قال : (واالله على كل شيء شهيد) [البروج : 9] .وفي الحديث الصحيح : " اعبد االله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك " وهذا إرشاد وأمر بمراقبة الرقيب ; ولهذا ذكر تعالى أن أصل الخلق من أب [واحد] وأم واحدة; ليعطف بعضهم على بعض ، ويحننهم على ضعفائهم ، وقد ثبت في صحيح مسلم ، من حديث

جرير بن عبد االله البجلي; أن رسول االله صلى االله عليه وسلم حين قدم عليه أولئك النفر من مضر - وهم مجتابو النمار - أي من عريهم وفقرهم - قام فخطب الناس بعد صلاة الظهر فقال في خطبته : (ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة) حتى ختم الآية وقال : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا االله ولتنظر نفس ما قدمت لغد [واتقوا االله]) [الحشر : 18] ثم حضهم على الصدقة فقال : " تصدق رجل من ديناره ، من درهمه ، من صاع بره ، صاع تمره . . . " وذكر تمام الحديث .وهكذا رواه الإمام أحمد وأهل السنن عن ابن مسعود في خطبة الحاجة وفيها ثم يقرأ ثلاث آيات هذه منها : (يا أيها الناس اتقوا ربكم [الذي خلقكم من نفس واحدة]) الآية .